التحرير

لأول مرة فى الصحافة المصرية

ننشر ترجمة كاملة لقصة الأديبة آليس مونرو الحاصلة على جائزة نوبل 2013

البُعْد

الحلقة الأولى

ترجمة

أحمد شافعى

لم تخبر «دُورى» السيدة صاندس عن محاولتيها السابقتين وربما لن تخبرها بهذه المحاولة أيضا. كانت السيدة صاندس التى تقابلها عصر كل إثنين تتكلم عن التجاوز.. تجاوز الصدمة.. وإن قالت دائما إنه يحتاج وقتا وإنها لا ينبغى أن تسبق الأحداث

تغيرت فلسفة لويد فى الحياة مع كبره.. بات يؤمن بالزواج والاستقرار وعدم تحديد النسل ورأى أن شبه جزيرة سيتشليت التى كان يعيش فيها هو و«دُورى» مزدحمة بالكثير من الأصدقاء القدامى

كان على «دُورى» أن تستقل ثلاث حافلات، واحدة إلى كينكاردين، التى انتظرت فيها حافلة أخرى إلى مدينة لندن فى أونتاريو، وهناك انتظرت مرة ثانية الحافلة المتجهة إلى المؤسسة. بدأت الرحلة فى التاسعة من صباح يوم أحد، وبسبب فترات الانتظار بين الحافلات، استغرقت حتى الثانية ظهرا لتقطع المئة ميل ونيفًا. ولكن كل ذلك الجلوس، سواء فى الحافلات أو المحطات، لم يكن بالشىء الذى تبالى به؛ وهى التى لم يكن عملها اليومى من النوع الذى يستوجب الجلوس.

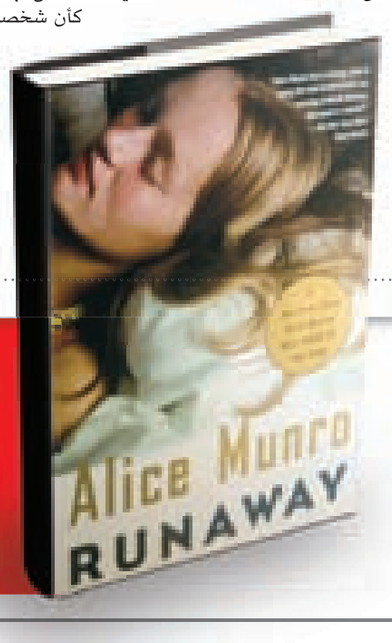

كانت تعمل فى خدمة الغرف فى «كومفورت إن». تدْعَك الحمامات وترتب الأسرّة وتكنس السجاجيد وتمسح المرايا. وكانت تحب ذلك العمل، الذى يستولى على تفكيرها إلى درجة معينة، ويهلكها فتستطيع أن تنام بالليل. ونادرا ما صادفت فوضى فظيعة حقا، ولكن بعض النساء اللاتى كن يعملن معها لهن حكايات يقف لها شعر رأسك. كن أكبر سنًّا منها، وكلهن كُنّ يرين أن عليها أن تحاول الترقى فى عملها، ويقلن لها إنها ينبغى أن تتدرب لتحصل على وظيفة على مكتب بما أنها لا تزال شابّة وحلوة. ولكنها كانت راضية بعملها، ولم تكن ترغب فى عمل تتكلم فيه مع أحد.

لم يكن أىٌّ ممن تعمل معهم يعرف شيئا عما جرى. ومَن يعرف لا يظهر معرفته. صورتها ظهرت فى الجرائد. الجرائد نشرت الصورة التى التقطها لها مع الأطفال الثلاثة: المولود الجديد ديمترى على ذراعها، وباربرا آن وساشا على جانبيها، ناظرون جميعا أمامهم. كان شعرها أيامها طويلا، متماوجا، بُنيًّا، طبيعيا فى لونه وفى تموجه، وذلك شىء كان يحبه فيها، وكان فى وجها حياء وليونة ولم يكن ذلك انعكاسا لطبيعتها بقدر ما هو انعكاس للطريقة التى يحب أن يراها عليها.

منذ ذلك الحين، قصَّت شعرها، وجعلته سبايكى بدلا من تماوجه القديم، وصبغته بلون أفتح، وفقدت الكثير من وزنها. وصارت الآن تستخدم اسمها الثانى «فلور». كما كانت الوظيفة التى وجدوها لها تقع فى بلدة بعيدة عن المكان الذى كانت تعيش فيه من قبل.

وتلك كانت ثالث مرة تقوم فيها بهذه الرحلة. فى المرتين الأوليين رفض مقابلتها. ولو كررها فإنها سوف تتوقف عن المحاولة. ولو قابلها، فربما لفترة لا تأتى مرة أخرى. فهى لم تكن تنتوى أن تتمادى. خصوصا أنها لم تكن تعلم فعلا ما الذى توشك أن تفعله.

فى الحافلة الأولى لم تكن منزعجة للغاية. فقط جالسة تنظر من الشباك، هى التى نشأت على الساحل، حيث ثمة ما يعرفه الناس بالربيع، أما هنا، فيهجم الشتاء فى أعقاب الصيف مباشرة. منذ شهر واحد كان الجليد كاسيا، والآن يسمح الحر بتعرية الذراعين. فى الحقول مساحات من المياه تبهر العيون، والشمس تصب نورها عبر غصون جرداء.

فى الحافلة الثانية بدأت أعصابها تهتاج، ولم تستطع منع نفسها من تخمين أىِّ النساء من حولها قد تكون ذاهبة إلى نفس المكان. كن نساء وحيدات، يعتنين فى العادة بما يرتدينه عسى أن يظهرن كأنهن ذاهبات إلى الكنيسة. الكبيرات منهن كنَّ يبدون كأنهن فى الطريق إلى كنائس من القديمة الأشد صرامة التى يلزمك فيها ارتداء جيبة وجورب وقبعة من أى نوع، أما الأصغر فيبدون منتميات إلى محافل أكثر حيوية تتقبل البذلة والبنطلون والأوشحة البراقة والأقراط وقصات الشعر الهائشة. ولكنك حينما تمعن النظر ترى أن من الصغيرات ذوات البذلات من فى كبر الأخريات.

ولم تكن «دُورى» تناسب أيا من الفئتين. فهى على مدار عملها طوال فترة السنتين ونصف لم تشتر لنفسها قطعة ثياب جديدة، وفى العمل ترتدى الزى الموحد وفى ما عداه الجينز. كانت من الأساس قد تخلصت من عادة وضع الماكياج لأنه لم يكن يسمح به، والآن، وإن أمكنها، لا تضعه. وبات شعرها بقصته الجديدة ولونه الفاتح كالذرة، غير مناسب لوجهها بارز العظام الخالى من المساحيق، ولكنها لا تهتم.

فى الحافلة الثالثة، جلست على كرسى جنب الشباك، وحاولت أن تهدئ نفسها بقراءة اللوافت، الدعائية والإرشادية سواء بسواء. وكانت قد ابتكرت عادة تشغل بها عقلها. تأخذ حروف أى كلمة تقع عليها عيناها، وترى كم كلمة جديدة يمكن أن تكوّنها منها. «قهوة» مثلا، يمكن أن تعطيك «قهوة» و«هو»، و«هوة»، و«قوة». و«دكان» تعطيك «كان» و«دان» و«دنّ» و«كُن»، و.. لحظة واحدة، تعطيك «كاد» أيضا، و«نَكد»، والكلمات أوفر فى الطريق الخارج من المدينة إذ تمر الحافلة باللوحات الإعلانية والمتاجر الضخمة ومواقف السيارات وحتى المناطيد المربوطة إلى الأسطح تعلن عن مواسم التخفيضات.

لم تخبر «دُورى» السيدة صاندس عن محاولتيها السابقتين، وربما لن تخبرها بهذه المحاولة أيضا. كانت السيدة صاندس التى تقابلها عصر كل اثنين تتكلم عن التجاوز، تجاوز الصدمة، وإن قالت دائما إنه يحتاج وقتا، وإنها لا ينبغى أن تسبق الأحداث. كانت تقول لـ«دُورى» إنها بخير، وإنها تدريجيا سوف تكتشف قوتها.

قالت «أنا عارفة أنها كلمات ابتُذلت ابتذال الموت، لكنها لا تزال حقيقية».

خجلت السيدة صاندس مما قالته حتى احمرّ خداها. الموت ولكنها لم تزد الطين بلة بأن تعتذر.

عندما كانت «دُورى» فى السادسة عشرة أى منذ سبع سنين كانت تذهب كل يوم بعد المدرسة لتزور أمها فى المستشفى، حيث كانت تقضى فترة نقاهة من جراحة فى ظهرها، قيل إنها عملية كبيرة وإن لم تكن خطيرة. وكان لويد ممرضًا، يشترك هو وأم «دُورى» فى ماض هيبىّ قديم وإن يكن لويد أصغر بسنوات قليلة فكّان كلما زارها فى المستشفى يدردش معها عن حفلات موسيقية أو مسيرات احتجاجية شاركا فيها، وعن المارقَين اللذين عرفاهم، وقعدات المخدرات التى كانت ترحل بهم إلى دنيا غير الدنيا، وهذه النوعية من الحواديت.

كانت لـ«لويد» جماهيرية بين المرضى بسبب نكاته، وبسبب لمسة من القوة واليقين. كان رجلا رَبْعَة عريض الكتفين فيه حس سلطوى يجعل البعض فى بعض الأحيان يتصورونه طبيبا. (ولم يكن طبعا سعيدا بهذا، فقد كان يرى أن الطب أكثره خداع والأطباء أغلبهم مقاطف). كانت له بشرة محمرة حساسة وشعر فاتح وعينان مقتحمتان.

قبّل «دُورى» فى المصعد وقال لها إنها زهرة فى صحراء، ثم سخر من نفسه قائلا «يا ولد انت يا جامد!».

قالت، تريد أن تكون لطيفة: «أنت شاعر ولا تعرف».

وذات ليلة ماتت أمها بغتة نتيجة انسداد دموى. كانت لأم «دُورى» صديقات كثيرات أردن أن يأخذن «دُورى» فى بيوتهن وبقيت بالفعل مع إحداهن لفترة ولكن الصديق الجديد لويد كان المفضل لدى «دُورى». فما حل عيد ميلادها التالى إلا وهى حامل، ثم تزوجت. ولم يكن لويد قد تزوج من قبل مطلقا، وإن كان لديه على الأقل طفلان لم يكن يعلم أين هما بالضبط فى هذه الدنيا. وعموما لا بد أنهما فى ذلك الوقت قد أصبحا كبيرين. تغيرت فلسفة لويد فى الحياة مع كبره، بات يؤمن بالزواج والاستقرار وعدم تحديد النسل. ورأى أن شبه جزيرة سيتشليت التى كان يعيش فيها هو و«دُورى» مزدحمة بالكثير من الأصدقاء القدامى، وأنماط العيش القديمة، والعشيقات القديمات. فسرعان ما انتقل هو و«دُورى» إلى الجهة الأخرى من البلد فى بلدة انتقياها من على الخريطة: ميلدماى، ثم إنهما لم يعيشا فيها نفسها، بل استأجرا بيتا فى الريف القريب. وحصل لويد على وظيفة فى مصنع آيس كريم، وزرعا الحديقة، فقد كان لويد على دراية كبيرة بالبستنة، ونجارة البيوت، وإصلاح المواقد، وتدوير سيارة قديمة.

وولد ساشا.

«**طبيعى** تماما»، هكذا قالت السيدة صاندس.

قالت «دُورى»: «بجد؟».

كانت «دُورى» جالسة على مقعد مستقيم الظهر أمام المكتب، وليس على الكنبة ذات القماش المزهر والحشايا. حركت السيدة صاندس كرسيها إلى جانب المكتب، بحيث تتكلمان دون أن يكون بينهما أى نوع من الحواجز.

قالت: «أنا كنت متوقعة منك أن تفعلى ما أظن أننى كنت لأفعله لو كنت مكانك».

لم تكن السيدة صاندس لتقول ذلك فى أول الأمر. بل وكانت لتحرص أكثر من هذا منذ عام، علما منها بأن «دُورى» يمكن أن تثور على فكرة أن يكون أحد، كائنا من كان، فى مكانها. ولكنها الآن باتت تعرف أن «دُورى» سوف تقبلها باعتبارها طريقة، بل وطريقة متواضعة، لمحاولة الفهم.

لم تكن السيدة صاندس مثل بعضهم. لم تكن سريعة الحركة، نحيلة، جميلة. وأيضا لم تكن كبيرة جدا. كانت فى مثل عمر أم «دُورى» تقريبا لو كانت عاشت، وإن لم يبد عليها مطلقا أنها كانت هيبيّة ذات يوم. كان شعرها الأشيب قصيرا، ولها خال يَتوسط وجنتها. وترتدى أحذية مسطحة وبنطلونات فضفاضة وقمصان مشجّرة. وحتى حينما كانت القمصان تأخذ اللون النبيذى أو الفيروزى لم تكن تترك انطباعا بأن السيدة صاندس تبالى كثيرا بما ترتديه، بل كان يبدو كأن شخصا ما قال لها إن عليها أن تهتم بمظهرها أكثر قليلا فأطاعته وخرجت اشترت شيئا ظنت أنه سيؤدى الغرض. كانت رزانتها الطيبة الفياضة تبدد أثر مرحها المهين، المسىء، المتجسد فى هذه الثياب.

قالت «دُورى» «حسن، فى المرتين الأوليين لم أره مطلقا. لم يكن يخرج».

«وفى هذه المرة خرج؟ طلع لك؟».

«نعم، طلع. ولكننى أوشكت أن لا أتعرف عليه».

«عجّز؟».

«أظن ذلك. أظنه نحل قليلا. وتلك الثياب. الزى الموحد. لم أره فى شىء كهذا مطلقا».

«ألم يسبق له أن كان ممرضا؟»..

«هناك فرق».

«بدا لك كما لو كان شخصا مختلفا؟».

«لا»، وعضَّت «دُورى» على شفتها تحاول أن تخمّن الاختلاف بالضبط. كان فى غاية السكون. لم يسبق أن رأته ساكنا هكذا. لم يبد عليه حتى إنه يعرف ما إذا كان ينبغى أن يجلس أمامها. كانت أولى كلماتها له «ألن تجلس؟» فقال «كله تمام؟».

قالت «بدا أشبه بالخاوى. فكرت أنهم جعلوه يتعاطى شيئا».

«ربما يعطونه شيئا لتهدئته. لكن إذا سمحت، أنا لا أعرف، هل دار بينكم حوار؟».

لم تكن «دُورى» تعرف إن كان يمكنه تسميته بحوار. هى وجهت إليه بعض الأسئلة الغبية. كيف حاله؟ (أوكيه) هل يأكل كفايته؟ (يظن ذلك) هل هناك مكان يمكن أن يتمشى فيه لو أحب؟ (نعم، تحت إشراف. ونعم، تقدر أن تسميه مكانا. وتقدر أن تسميها تمشية).

كانت قد قالت «لا بد لك من هواء نظيف».

فقال «صحيح».

وسألته إن كان له أصحاب، مثلما يمكنك أن تسأل ابنك فى أيامه الأولى بالمدرسة.

قالت السيدة صاندس «نعم، نعم» وهى تدفع علبة المناديل نحوها. ولم تكن «دُورى» بحاجة إليها، وعيناها جافتان. كانت المشكلة فى قاع معدتها. رغبة فى التقيؤ.

تمهلت السيدة صاندس، وهى أوعى من أن تتعجل. قال لها لويد، كما لو كان يعلم ما توشك أن تقوله، إن هناك طبيبا نفسيا يأتى ليتحدث إليه بين الحين والآخر.

قال لويد «أقول له إنه يضيع وقته. فأنا أعرف قدر ما يعرف».

وتلك هى المرة الوحيدة التى بدا فيها لـ«دُورى» أنه يشبه لويد الذى عرفته.

طوال زيارتها كان قلبها يدق. حتى إنها خشيت أن يغمى عليها أو تموت. كانت تبذل جهدا حقيقيا حتى تنظر إليه، حتى تضعه فى نطاق بصرها، وما هو غير ذلك الرجل العجوز الأشيب الهزيل المهزوز البارد الذى يتحرك بآلية وبخَرَق!

لم تقل أيًّا من ذلكَ للسيدة صاندس. ولعل السيدة صاندس طرحت سؤالا تكتيكيا عمن كانت تخاف منه، منه أم من نفسها؟ لكنها لم تكن خائفة أصلا.

تمهلت السيدة صاندس.. وهى أوعى من أن تتعجل.. قال لها لويد كما لو كان يعلم ما توشك أن تقوله «إن هناك طبيبا نفسيا يأتى ليتحدث إليه بين الحين والآخر»

اللوحات للفنان العالمى إدوارد هوبر

وُلدت أليس مونرو فى 10 من يوليو 1931 فى مقاطعة ونجهام بولاية أونتاريو ودرست الصحافة واللغة الإنجليزية فى جامعة أونتاريو الغربية لكنها توقفت عن الدراسة بعد زواجها 1951

لأول مرة فى الصحافة المصرية

ننشر ترجمة كاملة لقصة الأديبة آليس مونرو الحاصلة على جائزة نوبل 2013

البُعْد

الحلقة الثانية

ترجمة
أحمد شافعى

كان ساشا ولدًا ذكيًا استطاع عمليا أن يعلم نفسه القراءة.. والبنت والولد الآخران كانا لا يزالان أصغر من أن يتعلما أى شىء.. فى المساءات والإجازات الأسبوعية كان لويد يعلّم ساشا الجغرافيا والنظام الشمسى وسبات الحيوانات وتشغيل السيارات

كان يبالغ فى تقدير سن ماجى ولكنه كان محقا فى أنها تمهلت.. كانت تعمل طبيبة عيون.. وهى وزوجها كانا يعيشان معا ولم يفكرا فى تكوين أسرة إلا بعدما أمكنها أن تعتزل العمل وصار لهما بيت فى الريف

عندما بلغ عمْر «ساشا» عامًا ونصف العام، وُلدت باربرا آن، وعندما بلغ عمْر باربرا آن عامين، أنجبا ديمترى. اختارا معا اسم ساشا، ثم اتفقا على أن يختار هو أسماء الأولاد وتختار هى للبنات. كان ديمترى أول من يصاب لها بتقلصات البطن. ظنت «دُورى» أنه ربما لا يحصل على كفايته من اللبن، أو أن لبنها ليس دسما بالقدر الكافى. أم أكثر دسامة مما ينبغى؟ وعموما، لم يحدث على الفور أن جاء لويد بسيدة من منظمة «لا ليش ليج» لتتكلم معها. قالت السيدة، مهما حدث، عليك أن لا ترضعيه صناعيًّا. قالت، هذه ستكون البَداية فقط، وبسرعة ستجدين أنه يرفض صدرك تماما. وكانت تتكلم كأن هذه مأساة.

لم تكن السيدة تعرف أن «دُورى» أصلا ترضعه صناعيا. وبدا صحيحا أنه يفضل زجاجة الرضاعة على ثديها الذى بات يفقد اهتمامه به أكثر فأكثر. وفى غضون ثلاثة أشهر كان لا يرضع إلا من الزجاجة، ولم يعد من الممكن حينئذ إخفاء الأمر عن لويد. قالت له إن لبنها جفّ وإنها اضطرت إلى أن تلجأ إلى الرضاعة التكميلية. عصر لويد نهدَيها واحدا بعد الآخر بتصميم مسعور ونجح أن يستخرج قطرتَى لبن بائستَى المنظر. فقال لها إنها كذابة. وتشاجرا. قال إنها فاجرة مثل أمها.

قال إن الهيبيات جميعا فاجرات.

وتصالحا بسرعة. لكن كلما كان ديمترى يبدو نَكد المزاج، أو يصاب بدور برد، أو يخاف من الأرنب الَذى تلعب به أختاه، أو يبقى متشبثا فى كرسيّه وقد بلغ السن التى بدأ فيها أخوه وأخته المشى دون الاعتماد على شىء، كان الكلام يتجدد فى مسألة الرضاعة الصناعية.

عندما ذهبتْ «دُورى» إلى مكتب السيدة صاندس لأول مرة، أعطتها امرأة هناك كتيبا على غلافه صليب ذهبى وحروف أرجوانية: «حينما تبدو الخسارة لا تُحتمل...»، وبالداخل صورة ليسوع رقيقة الألوان وطباعة دقيقة لم تستطع «دُورى» أن تقرأها.

فى كرسيها المواجه للمكتب، وبينما لم تزل قابضة على الكتيب، بدأت «دُورى» ترتعش. حتى اضطرت السيدة صاندس إلى أن تنتزعه من يدها انتزاعًا.

قالت السيدة صاندس «هل أعطاك أحد هذا؟».

قالت «دُورى»: «هى»، والتفّت برأسَها إلى الباب المغلق.

«وأنتِ لا تريدينه؟».

قالتَ «دُورى»: «حينما تقعين يحاولون النَّيل منك»، ثم أدركَت أن هذه جملة كانت أمها تقولها عندما تأتى لزيارتها فى المستشفى نساءٌ من ذوات الرسائل المشابهة. «يحسبن أنك ستخرّين راكعة وكل شىء بعد ذلك سوف يكون على ما يرام».

تنهَّدت السيدة صاندس.

قالت «طيب. الأمر يقينا ليس بهذه البساطة».

قالت «دُورى» «ولا هو حتى محتمَل».

«ربما لا».

لم تتكلما قطّ عن لويد، فى تلك الأيام. وما كانت «دُورى»، لو استطاعت، لتفكر فيه أصلا، ثم إنها ما كانت لتفكر فيه إلا كأنه بلوى رهيبة من بلايا الطبيعة.

قالت وهى تشير إلى الكتيب «وحتى لو كنت أؤمن بهذا الكلام، فلن يكون ذلك إلا بهدف...» وأرادت أن تقول إن إيمانا كهذا ما كان ليلائمها إلا لو أمكنها أن تفكر فى لويد إذ يتقلب فى نِيران الجحيم، أو شىء من هذا القبيل، لكنها لم تقوَ على إكمال جملتها، لأنه أمر فى منتهى الغباء، وبسبب عائق مألوف، كأنه مطرقة تدق بطنها.

رأى لويد أنه ينبغى تعليم أطفالهما فى البيت. ولم يكن هذا لأسباب دينية -من قبيل الاعتراض على الديناصورات وإنسان الكهف والقرَدة وكل ذلك- بل لأنه أراد لهم أن يبقوا على مقربةَ من أبويهم وأن يتعرفوا على العالم تدريجيا وبحذر، بدلا من رميهم إليه مرة واحدة. قال «إنهم، بالصدفة فقط، أبنائى، أعنى أبناءنا، وليسوا أبناء وزارة التعليم».

لم تكن «دُورى» واثقة من قدرتها على التعامل مع هذا الأمر، ولكن تبين أن لدى وزارة التعليم إرشادات، وخططا تدريسية يمكن الحصول عليها من المدرسة القريبة. كان ساشا ولدًا ذكيًّا، استطاع عمليا أن يعلم نفسه القراءة، والبنت والولد الآخران كانا لا يزالان أصغر من أن يتعلما أى شىء. فى المساءات والإجازات الأسبوعية كان لويد يعلّم ساشا الجغرافيا والنظام الشمسى وسبات الحيوانات وتشغيل السيارات، متناولا كل موضوع من هذه وفقا لما يخطر على بال الولد من أسئلة. وسرعان ما تُقدم ساشا على المدرسة، لكن «دُورى» كانت تلاحقهما بالتمارين والواجبات بحيث يبقى الولد ملتزما بالمنهج والقوانين.

كانت هناك أُمّ أخرى فى المنطقة تقوم هى الأخرى بالتدريس المنزلى، اسمها ماجى وعندها شاحنة صغيرة. ولأن لويد لم يكن ليستغنى عن سيارته التى يذهب بها إلى عمله، ولأن «دُورى» لم تكن تسوق، فقد فرحت باقتراح ماجى أن تُقلّها إلى المدرسة كل أسبوع لتسليم التمرينات المَحلولة وتحصيل التمرينات الجديدة. وبالطبع كانتا تصطحبان معهما جميع الأطفال. كان لماجى صبيَّان، الأكبر منهما عنده حساسيات كثيرة تضطرها إلى مراقبة كل ما ينزل بطنه، ولذلك لجأت إلى تعليمه منزليًّا. ثما بدا لها من الأصوب أن تستبقى الولد الأصغر فى البيت هو الآخر، خصوصا أنه كان يريد البقاء مع أخيه، ثم إنه كان أيضا مصابا بالربو.

كم كانت «دُورى» سعيدة آنذاك حين تقارن ولدَى ماجى بأولادها الثلاثة الأصحاء. قال لويد إن سبب ذلك أنها أنجبت أولادها وهى لا تزال صغيرة، فى حين تمهلت ماجى إلى حين شارفت على انقطاع الطمث. كان يبالغ فى تقدير سن ماجى، ولكنه كان محقا فى أنها تمهلت. كانت تعمل طبيبة عيون، وهى وزوجها كانا يعيشان معا، ولم يفكرا فى تكوين أسرة إلا بعدما أمكنها أن تعتزل العمل وصار لهما بيت فى الريف.

كان الشيب قد ضرب شعر ماجى الأسود الذى لا يتجاوز رأسها. طويلة، ممسوحة الصدر، مبتهجة، وعنيدة. وكان لويد يسميها السحاقية. فى غيابها فقط بالتأكيد. كان يمزح معها على الهاتف ثم يُسرّ إلى «دُورى» قائلا «الست السحاقية»، ولم يكن ذلك يضايق «دُورى»، فقد كان يطلق هذا اللفظ على الكثيرات. ولكنها كانت تخشى أن يبدو مزاحه لماجى زيادة فى التودد، أو تطفلا، أو على الأقل تضييعا للوقت.

«تريدين أن تكلمى العجوز. أيوه، هى معى هنا. تدعك لى بنطلون الشغل طالعة نازلة نازلة طالعة. أنت عارفة، ليس لدىَّ إلا هذا البنطلون. وعموما، أنا مؤمن أنها يجب أن تبقى مشغولة».

اعتادت «دُورى» وماجى على تسوّق بقالتهما معًا، بعد رجوعهما من المدرسة بورق التمارين. وفى بعض الأحيان كانتا تأخذان كوبَى قهوة من تيم هورتنز وتذهبان بالأولاد إلى حديقة ريفرسايد بارك. فتجلسان على أريكة، ويمضى ساشا وولدا ماجى يتسابقون أو يتعلقون فى ألعاب التسلق، وباربرا آن تتأرجح، وديمترى يلعب فى صندوق الرمل. أو هم يجلسون فى الشاحنة إن كان الجو باردا. كانتا فى الغالب تتكلمان عن الأولاد، والأكلات، وبطريقة ما اكتشفت «دُورى» أن ماجى طافت بأوربا قبل أن تدرس طب العيون واكتشفت ماجى كم كانت «دُورى» صغيرة حينما تزوجت، وكيف أنها كانت تحمل بسهولة فى البداية، ثم لم يعد الأمر كذلك مما أثار ارتياب لويد، فبات يفتش أدراجها بحثا عن أقراص منع الحمل، متصورا أنها بالتأكيد تتناولها من وراء ظهره.

«وهذا صحيح؟» تساءلت ماجى.

صُعقت «دُورى». قالت إنها لا تجرؤ.

«قصدى، أظن أن هذا عمل رهيب، دون إخباره. تفتيشه الأدراج، يعنى، مزاح لا أكثر».

«أوه».

ومرة قالت ماجى «هل أمورك طيبة يا دُورى؟ فى جوازك أقصد؟ سعيدة يعنى؟».

قالت «دُورى» نعم، بغير تردد. وبعد ذلك بدأت تنتبه أكثر إلى ما تقوله. فقد فهمت أن هناك أمورا هى معتادة عليها ولكن غيرها قد لا يفهمها. ولويد كانت له طريقة خاصة فى النظر إلى الأمور، وتركيبته. حتى أيام قابلته فى المستشفى لأول مرة، كان هكذا. كانت كبيرة طاقم التمريض امرأة مُنشّاة فكان يطلق عليها «السيئة اللى تشلّ» بدلا من «السيدة ميتشل» وينطقها بسرعة كبيرة فلا تتبينها إلا لمامًا. كان يرى أنها تحابى ناسا على ناس، ولم يكَن ممن تحابيهم. وهناك الآن شخص يكرهه فى مصنع الآيس كريم، شخص يسميه لِوِى اللحاس. لم تكن «دُورى» تعرف اسم الرجل الحقيقىَ. ولكن ذلك على الأقل كان يثبت أنه لم يكن يقصر كراهيته على النساء.

كانت «دُورى» متأكدة أن أولئك الناس ليسوا بالسوء الذى يتصوره فيهم لويد، ولكن مواجهته كانت أمرا لا طائل منه. ربما الرجال هكذا، لا بد أن يكون عندهم أعداء، مثلما لا بد أن تكون عندهم نكات. وأحيانا كان لويد يجعل من أعدائه نكاته، تماما كما لو أنه يسخر من نفسه. وكان مسموحا لها بمشاركته السخرية، ما دامت لم تكن هى البادئة.

كانت ترجو أن لا يسلك هذا المسلك مع ماجى، وتخشى فى بعض الأحيان أن يكون شىء من هذا النوع فى الطريق. ولو أنه منعها من الذهاب مع ماجى إلى المدرسة أو التسوق لكان ذلك إزعاجا حقيقيا. ولكن الأسوأ هو ما كان ليلحقها من عار. كانت ستضطر أن تلفّق كذبة غبية، وتشرح الأمور شرحا مرتبكا، وفى النهاية كانت ماجى ستعرف على الأقل أن «دُورى» تكذب، فتقاطعها، بما يعنى ربما أن «دُورى» فى موقف أسوأ فعلا من الموقف الذى هى فيه. كانت لماجى طريقتها الحادة المترفعة عن الهراء فى النظر إلى الأمور.

ثم سألت «دُورى» نفسها: لماذا هى تبالى أصلا بما يمكن أن يذهب إليه تفكير ماجى، وما ماجى إلا غريبة، وما هى حتى بالشخص الذى ترتاح معه «دُورى» ارتياحا فارقا؟ كان المهم هو «دُورى» ولويد وأسرتهما. ذلك ما كان يقوله لويد، وعنده حق. فحقيقة ما بينهما، حقيقة الرابطة التى تربطهما، شىء لا يمكن لأحد أن يفهمه، ولا هو يخص غيرهما أيضا. ولو ركزت «دُورى» على وفائها هى لكان ذلك خيرا.

تدريجيا تدهور الوضع. لم يصل إلى المنع المباشر، لكن النقد ازداد. فقد انتهى لويد إلى نظرية بأن الحساسية والربو عند ولدَى ماجى هما غلطة ماجى. قال إن السبب غالبا ما يكون من الأم. وهو رأى ذلك مرارا فى المستشفى. الأُمّ، المسيطرة، المتعلمة أكثر من اللازم.

قالت «دُورى»: «ولكن فى بعض الأوقات يولد الأطفال بعيب ما. لا يمكنك أن تقول إن السبب من الأم كل مرة».

«ولمَ لا يمكننى؟».

«لاَ أقصدك **أنت**. لا أقصد لا يمكنك أنت بالذات. قصدت أنه ألا يمكن أنهم يولدون...».

«ومنذ متى إن شاء الله وأنت خبيرة فى الطب؟».

«لم أُقلْ خبيرة».

«ولست خبيرة».

ومن سيئ إلى أسوأ. صار يريد أن يعرف فيمَ تتكلمان، هى وماجى.

«أنا عارفة! ولا شىء، عادى».

«ظريف جدا. امرأتان فى سيارة. أول مرة أسمعها. ويتكلمان فى ولا شىء. ستخرب بيتنا على فكرة».

«مَن؟ ماجى؟».

«هذه النوعية ليست جديدة علىّ».

«أىّ نوعية؟».

«نوعيتها».

«لا تكن سخيفا».

«حاسبى على كلامك».

«ما الذى يجعلها تريد خراب بيتنا؟».

«ومَن أدرانى؟ هى فقط تريد خراب البيت. صبرك عليها. وسترين بعينيك. ستبدأ تعيد وتزيد معك فى وضاعتى».

اكتشفت ماجى كم كانت «دُورى» صغيرة حينما تزوجت وكيف أنها كانت تحمل بسهولة فى البداية ثم لم يعد الأمر كذلك مما أثار ارتياب لويد فبات يفتش أدراجها بحثا عن أقراص منع الحمل متصورا أنها بالتأكيد تتناولها من وراء ظهره

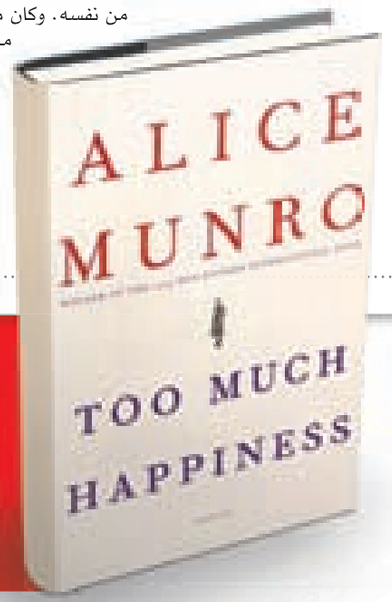

اللوحات للفنان العالمى إدوارد هوبر

أقامت مونرو مع زوجها وأنشآ معاً متجرا للكتب. بدأت كتابة القصص فى مراهقتها وبدأت تنشر فى المجلات فى الخمسينيات ثم أصدرت كتابها الأول فى عام 1968 بعنوان «رقصة الظلال السعيدة»

لأول مرة فى الصحافة المصرية

ننشر ترجمة كاملة لقصة الأديبة آليس مونرو الحاصلة على جائزة نوبل 2013

البُعْد

الحلقة الثالثة

ترجمة
أحمد شافعى

والحقيقة أن ما قاله هو الذى حدث. أو أن هذا ما كان ليبدو عليه الأمر بالقطع فى نظر لويد. وجدت نفسها الساعة العاشرة مساء فى مطبخ ماجى وقد اختلط دمعها بمخاطها وأمامها فنجان الشاى العشبى. وكانت قد سمعت زوج ماجى يقول وهو قادم ليفتح لها بعدما طرقتِ الباب «ماذا هناك بحق الجحيم؟». لم يكن يعرف مَن بالباب. قالت: «آسفة جدا على الإزعاج...» بينما كان هو ينظر إليها بحاجبين مرفوعين وفم مزموم.

مَشَت «دُورى» الطريق كله فى الظلام، فى البداية على الطريق الحَصَوى الذى تعيش هى ولويد فى نهايته، ثم على الطريق السريع. وكانت تنزل إلى المصرف الموازى للطريق كلما مرت سيارة، فأبطأ هذا من سيرها إلى حد كبير. كانت تنظر إلى كل سيارة تمر متصورة أن لويد فى إحداها، ولم تكن تريد أن يعثر عليها، ليس بعد، ليس قبل أن ينتابه الفزع بسبب ما فيه من جنون. وقد سبق لها أن جعلت جنونه هذا ينقلب عليه فزعا بالبكاء والنحيب بل وبخبط رأسها فى الأرض وهى تصرخ «غير صحيح. غير صحيح. غير صحيح». فكان فى النهاية يتراجع ويقول «أوكيه، أوووووكيه، أنا أصدّق يا عسولتى، اهدئى. فكّرى فى الأولاد. أصدّق يا عسولة لكن اهدئى».

ولكنها الليلة تمالكت نفسها بمجرد أن أوشك على البدء فى هذا، ولبست المعطف وخرجت من الباب بينما يصيح هو «ارجعى، ارجعى أقول لك».

كان زوج ماجى قد ذهب إلى السرير، غير راض بالمرة عما يجرى، بينما بقيت «دُورى» تقول: «أنا آسفة، أنا آسفة أنى اقتحمتكم فى هذا الوقت من الليل».

قالت ماجى بصوت طبيبة العيون اللطيف «أوه، اسكتى يا بنت. أصب لك كأس نبيذ؟».

«أنا لا أشرب».

«وأحسن أن لا تبدئى الآن. سأعمل لك كوب شاى. مهدّئ جدا. توت برّى وبابونج. الأولاد بخير، ها؟».

«نعم».

تناولت ماجى معطفها ووضعت لها علبة كلينكس لتمسح عينيها وأنفها. «لا تحكى أى شىء. الأول تهدئين».

وحتى قبل أن تهدأ تماما لم تكن «دُورى» تريد أن تحكى الحقيقة كاملة، فتعرف ماجى أنها شخصيا فى قلب المشكلة. وأهم من ذلك أنها لم تكن تريد أن تضطر إلى التبرير لـ«لويد». فمهما حل عليها من مصائب معه، يبقى هو أقرب شخص إليها فى العالم، ويبقى أنها تشعر أن كل شىء سوف ينهار إن هى حملت نفسها حَملًا على أن تحكى لأحد كيف هو لويد بالضبط، إن هى تخلصت تماما من الوفاء.

قالت إنها تشاجرت مع لويد على مسألة قديمة وإنها قرفت من تجدد الكلام فيها كل مرة وأرادت أن تخرج. ولكنها سوف تتجاوزها، كما قالت. هما سوف يتجاوزانها.

قالت ماجى «هذا يحدث أحيانا لأى اثنين».

رنّ الهاتف، وردَّت ماجى.

«نعم. هى بخير. أرادت فقط أن تمشى وتكسر الروتين. حاضر. أوكيه. غدا أوصلها إلى البيت. ولا إزعاج ولا أى شىء. أوكيه. تصبح على خير».

قالت «هو. أظن أنك سمعت».

«وصوته؟ عادى؟».

ضحكت ماجى «ومن أدرانى بصوته وهو عادى؟ ليس سكران على أى حال».

«هو لا يشرب أيضا. حتى القهوة لا تدخل بيتنا».

«أسخّن لك توستًا؟».

فى الصباح أوصلتها ماجى إلى البيت مبكرا. لم يخرج زوج ماجى إلى عمله، وبقى مع الولدين. كانت ماجى تتعجل الرجوع، فلم تزد على «باى باى، اتصلى بى لو احتجت إلى أن تتكلمى» وهى تدور بالشاحنة الصغيرة فى الفناء. كان صباحا باردا فى أول الربيع ولم يزل ثمة جليد على الأرض، ولكن لويد كان جالسا على العتبة دون جاكت.

قال «صباح الخير» بصوت عال، والغريب أنه أيضا مهذب. وقالت «صباح الخير» بصوت لم تبين فيه أنها لاحظت صوته.

لم يتزحزح ليتيح لها الدخول.

قال «لا يمكنك الدخول».

رأت أن تأخذ الأمر ببساطة.

«حتى لو قلت لك من فضلك؟ من فضلك».

نظر إليها ولم يرد. ابتسم وشفتاه متلاصقتان.

«لويد؟ لويد؟».

«أحسن لك أن لا تدخلى».

«لم أقل لها أى شىء يا لويد. أنا آسفة أنى خرجت. كنت محتاجة إلى مكان أتنفس فيه، فقط».

«أحسن لك أن لا تدخلى».

«ما حكايتك؟ أين الأولاد؟».

هز رأسه مثلما يفعل كلما قالت ما لا يروق له. شىء بسيط من الوقاحة من قبيل «يا للخرا المقدس».

«لويد، أين الأولاد؟».

تزحزحَ قليلا بحيث تستطيع المرور إن أرادت.

ديمترى لا يزال فى مهده، مستلقيا بالعرض، باربرا على الأرض جنب سريرها، كأنما نزلت منه أو انتزعت على غير إرادة. وساشا جنب باب المطبخ –كان قد حاول الهروب. كان الوحيد الذى على حلقه كدمات. أما الآخران فتكفلت بهما الوسادة.

قال لويد «عندما اتصلت أمس. كان الأمر انتهى».

قال «أنت جلبته على نفسك».

صدر حكم بجنونه، وعدم جواز محاكمته. ولأنه كان مجنونا جنائيا، كان لا بد من وضعه فى مؤسسة مؤمّنة.

خرجت «دُورى» من البيت وهى تجرى وتتعثر فى الفناء، وتشد بذراعيها على بطنها كأنما بُقرت فهى تحاول لملمة أحشائها. وذلك هو المشهد الذى رأته ماجى عندما رجعت. كان قد خطر لها هاجس، فأدرات الشاحنة وهى فى الطريق، وأول ما رأت «دُورى» ظنت أنها ضُربت أو رُكلت فى بطنها، وما كان لها أن تتبين شيئا مما كان يصدر عن «دُورى»، لكن لويد، الذى كان لا يزال جالسا على العتبة، تنحّى لها بأدب، دون أن ينطق بكلمة، فدخلت البيت ورأت ما كانت تتوقع الآن رؤيته، واتصلت بالشرطة.

لفترة ظلت «دُورى» تضع كل ما تقع عليه يدها فى فمها. ومن التراب والعشب انتقلت إلى الملاءات والمناشف وثيابها نفسها. وكأنها لم تكن تحاول خنق عويلها فقط، بل وأن تمحو المشهد كله من ذهنها. كانوا يحقنونها بشىء ما، بانتظام، بهدف تهدئتها، وأفلح الأمر. هدأت تماما، وإن لم تبلغ درجة الجمود. قالوا إنها استقرت. وعندما خرجت من المستشفى وجاء بها الإخصائى الاجتماعى إلى ذلك المكان الجديد، تولت السيدة صاندس أمرها، ودبّرت لها مكانًا تعيش فيه، ووجدت لها وظيفة، وحددت لها جلسة أسبوعية تتكلمان فيها معًا. كانت ماجى تأتى لزيارتها، ولكن «دُورى» لم تكن تحتمل رؤيتها، وهو شعور قالت السيدة صاندس إنه طبيعى، ارتباط. وقالت إن ماجى ستفهم.

قالت مسز صاندس إن زيارة لويد من عدمها أمر يرجع إلى دورى. «فمهمتى هنا لا أن أوافق أو أعترض، فاهمة طبعا. هل ترتاحين لرؤيته أم تنزعجين؟».

«لا أعرف».

لم تستطع «دُورى» أن تشرح لها أن مَن تراه لا يبدو كأنه هو. كان الأمر أشبه برؤية شبح. شديد الشحوب. متهدل الثياب، حذاء لا يصدر عنه أدنى صوت، لعله شبشب. وتكوّن لديها انطباع بأنه بدأ يفقد شعره. شعره الكثيف عسلىّ اللون. ولم يعد لكتفيه عرضهما، ولا تجويف ترقوته الذى كانت تضع فيه رأسها من قبل.

ما قاله للشرطة، وما نقلته الجرائد لاحقا، هو «أردت أن أجنّبهم الشقاء».

أىّ شقاء؟

قال «شقاء أن يعرفوا أن أمهم مشت وتركتهم».

التصق هذا فى مخ «دُورى»، فلعلها حينما قررت أن تحاول زيارته، كانت فكرتها من ذلك أن تجعله يتراجع عن هذا الكلام. أن تجعله يرى ويعترف كيف سارت الأمور بالفعل.

«أنت قلت لى إما أن أتوقف عن معارضة كلامك وإما أخرج من البيت. فخرجتُ من البيت».

«ولم أذهب إلا إلى بيت ماجى، ولليلة واحدة. وكانت نيتى الوحيدة هى الرجوع. فأنا لم أمشِ وأترك أحدًا».

تتذكر بمنتهى الدقة كيف بدأ الشجار. كانت قد اشترت علبة مكرونة اسباجيتى فيها انبعاج طفيف للغاية، وبسبب ذلك الانبعاج كان على المكرونة تخفيض كبير، فأخذتها وهى فَرحة بشطارتها. كانت تتصور أنها فعلت شيئا ذكيا لكنها لم تقل له ذلك حينما بدأ استجوابها. فقد رأت لسبب ما أن تتظاهر بأنها لم تلاحظ الانبعاج.

قال، الأعمى كان ليلاحظ. وإنهم جميعا كان يمكن أن يتسمموا. وما لها وما حكايتها؟ أم أن هذا هو ما كان فى دماغها؟ هل كانت تخطط لتجريبها على الأولاد أم عليه؟

قالت له لا تكن مجنونا.

فقال إن المجنون غيره. فمن، إلا امرأة مجنونة، يشترى سمًّا لأسرته؟

كان الأطفال يتفرجون من الطرقة المُفْضية إلى الصالة. وتلك كانت آخر مرة تراهم فيها أحَياء.

وذلك إذن ما كانت تفكر فيه، أنها قد تجعله يدرك، أخيرا، مَن الذى كان مجنونا؟

عندما أدركت ما كان فى دماغها، كان ينبغى أن تنزل من الحافلة. كان يمكن حتى أن تتركها عند البوابة، مع قليل من النسوة اللاتى كن يمشين بتثاقل على الممشى. كان يمكن أن تعبر الطريق إلى الناحية الأخرى وتنتظر الحافلة العائدة إلى المدينة. ولعل هذا ما فعله البعض. كانوا يقومون بزيارة ثم قرروا أن لا يقوموا بها. ولعل هذا ما يفعله الناس طيلة الوقت.

لكن ربما تكون أحسنتْ صنعًا بذهابها، ورؤيتها له غريبا وضائعا. شخص لا يمكن أن يلام على شىء. بل ليس شخصا. كان أشبه بكائن فى حلم.

وكانت تحلم. فى واحد من أحلامها هربت من البيت بعد أن عثرت عليهم وانطلق لويد يضحك ضحكته القديمة ثم سمعت ساشا يضحك من ورائها وطلع عليها الفجر رائعا وتبين أنهم جميعا كانوا يمزحون.

«**سألتنى** إن كانت زيارته تريحنى أم تتعبنى؟ آخر مرة أنتَ سألتنى هذا السؤال؟».

قالت السيدة صاندس «نعم سألتك».

«كان لا بد أن أفكر فيه».

«نعم».

«انتهيت إلى أنها تتعبنى. وقررت أن لا أكررها».

كان صعبا تبين رد فعل السيدة صاندس، ولكن إطراقة رأسها بدت تعنى الرضا أو الاستحسان.

لذلك عندما قررت «دورى» أن تزوره مرة أخرى، رأت أنه يُستحسن أن لا تذكر شيئا عن الأمر. ولأنه من الصعب عليها أن تسكت عن شىء وقع لها –وما يقع لها قليل للغاية فى أغلب الأوقات– فقد اتصلت وألغت موعدها، بدعوى أنها ذاهبة لقضاء إجازة. كان الصيف على الأبواب، ومن ثم فالإجازات واردة. قالت، مع صديق.

تناولت ماجى معطفها ووضعت لها علبة كلينكس لتمسح عينيها وأنفها: «لا تحكى أى شىء.. الأول تهدئين»

فى الصباح أوصلتها ماجى إلى البيت مبكرا.. لم يخرج زوج ماجى إلى عمله وبقى مع الولدين.. كانت ماجى تتعجل الرجوع فلم تزد على «باى باى».. اتصلى بى لو احتجت إلى أن تتكلمى».

لم تستطع «دُورى» أن تشرح لها أن مَن تراه لا يبدو كأنه هو.. كان الأمر أشبه برؤية شبح شديد الشحوب متهدل الثياب..وحذاء لا يصدر عنه أدنى صوت.. لعله شبشب

اللوحات للفنان العالمى إدوارد هوبر

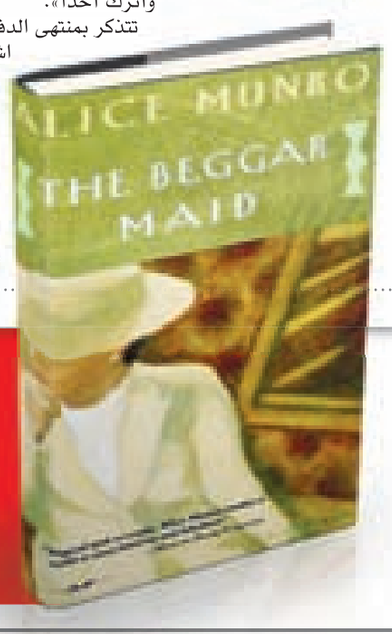

بعد طلاقها سنة 1972 رجعت إلى أونتاريو وتزوجت من جديد وظلت تعيش هناك وتكتب قصصها وتنشر مجموعة كل أربع سنوات.. آخرها «حياتى العزيزة» 2012.

لأول مرة فى الصحافة المصرية

ننشر ترجمة كاملة لقصة الأديبة آليس مونرو الحاصلة على جائزة نوبل 2013

البُعْد

الحلقة الرابعة

ترجمة
أحمد شافعى

«**لا أرى** أنك ترتدى جاكت الأسبوع الماضى».
«لم يكن الأسبوع الماضى».
«فعلا؟».
«كانت منذ ثلاثة أسابيع. الجو الآن حار. هذا أخف لكننى لا أحتاج إليه أيضا. ليست هناك أية حاجة إلى جاكت».
سألها عن رحلتها، وعن الحافلات التى أَقلَّتها من ميلدماى.
قالت له إنها لم تعد تعيش هناك أصلا. قالت له: أين تعيش؟ وكلّمته عن الحافلات الثلاث.
«هذه رحلة بالنسبة إليك. يعجبك العيش فى مكان كبير؟»
«العثور على عمل أسهل هناك».
«إذن أنت تعملين؟»
كانت قدَ أخبرته فى المرة الأخيرة عن المكان الذى تعيش فيه، والحافلات، والمكان الذى تعمل له.
قالت «أنظّف الغرف فى فندق صغير. قلت لك».
«صح صح، نسيت. أنا آسف. ألا تفكرين فى الرجوع إلى المدرسة؟ مدرسة ليلية؟».
قالت إنها فكرت فى الأمر فعلا، لكنه ليس التفكير الفعلى اللازم لعمل أى شىء. قالت إنها لا تبالى بالعمل الذى تقوم به.
ثم بدا أنهما لا يجدان ما يقولانه بعد ذلك.
تنهّد، وقال، «آسف. آسف. أظن أننى لست معتادا على التحاور».
«وماذا تفعل طول الوقت؟».
«أعتقد أننى أقرأ لوقت معقول. وشىء من التأمل. يعنى».
«أوه».
«أقدِّر مجيئك إلى هنا. معناه عندى كبير. لكن لا تتصورى أنك مضطرة إلى ذلك. قصدى، كلما رغبت فى ذلك. تعالَى فقط حينما ترغبين. إذا جدّ شىء، إذا شعرت أنك لا تريدين، الذى أريد أن أقوله هو أن مجردَ مجيئَك من الأساس، مجيئك ولو مرة، هو بالنسبة إلىَّ مكافأة فى حد ذاته. فاهمة قصدى؟».
قالت نعم. قالت إنها تظن ذلك.
قال إنه لا يريد أن يحشر نفسه فى حياتها.
قالت: «ولكنك لا تفعل».
«هذا ما كنتِ ستقولينه؟ كنت أظن أنكِ ستقولين شيئا آخر».
الحقيقة أنها أوشكت أن تقول، أى حياة؟، لكن قالت، لا، ليس بالضبط، لا شىء آخر.
«جميل».
بعد ثلاثة أسابيع، تلقت اتصالا. كانت السيدة صاندس بنفسها على الخط، وليست امرأة من مكتبها.
«أوه دورى، تصورت أنك لم ترجعى بعد. من إجازتك. رجعت إذن؟».
قالت دورى «نعم» وهى تحاول أن تتذكر أين قالت إنها ستقضى الإجازة.
«لكنك لم تحاولى ترتيب موعد آخر؟».
«لا، لم يحدث بعد».
«أوكيه، كنت أطمئن فقط. أنت بخير؟».
«أنا بخير».
«جميل جميل. أنت عارفة أين تجديننى إذا احتجت إلىّ. أى وقت تريدينَ أن تتكلمى».
«حاضر».
«خلّى بالك من نفسك».
لم تأت على ذكْر لويد، لم تسأل إن كانت الزيارات استمرتَ. طبيعىَ، طبيعى جدا، «دورى» قالت إنها لن تستمر. ولكن عادة ما تكون السيدة صاندس بارعة فى الإحساس بما يجرى. وبارعة أيضا فى إمساك نفسها عندما تشعر أن السؤال لن يصل بها إلى شىء. لم تكن «دورى» تعرف ما الذى يمكن أن تقوله إن سُئلت، هل تتراجع عن موقفها وتختلق كذبة أم تقول الحقيقة.
لقد رجعت إليه فى الأحد التالى مباشرة للأحد الذى قال لها فيه عمليا إنه يستوى لديه إن زارته أم لم تزره.
كان عنده برد. ولم يكن يعرف كيف أصيب به.
قال إنه ربما كان فى بداياته عندما رآها آخر مرة، وإن ذلك ربما كان هو السبب فى تعكر مزاجه.
تعكّر المزاج! ربما لم تكن لها علاقة فى تلك الأيام بأحد يستخدم مثل هذه الكلمة، فبدت غريبة على أذنيها. ولكنه كان معتادا على استخدام تلك النوعية من الكلمات، ولا بد أن وقْعها عليها كان ذات يوم مختلفا.
سأل «هل أبدو لك شخصا مختلفا؟».
قالت بحذَر «يعنىَ، شكلك متغير. وأنا أيضا؟».
قال بأسًى «شكلك جميل».
لأن فيها شيئا، لكنها حاربته.
سأل «شعورك تغيّر؟ كأنك أنت نفسك تغيرت؟».
قالت إنها لا تعرف «وأنت؟».
قال «على الإطلاق».
فى ثنايا الأسبوع نفسه وصل إليها مظروف كبير على الفندق. وصل إلى الفندق وعليه إشارة بأنه إلى عنايتها. فيه الكثير من الورق المكتوب على وجهيه. لم تتصور فى البداية أن يكون منه، كان يُخيَّل إليها أنه ليس مسموحا لمن يكونون فى السجن أن يكتبوا الرسائل، ولكنه كان بالطبع مسجونا من نوع مختلف، فهو لم يكن مجرما، بل مجنون جنائى.
لم تكن الوثيقة تحمل تاريخا أو حتى عبارة «دورى العزيزة». كل ما هنالك أنه بدأ الحديث إليها بنبرة رأت فيها ما يشبه دعوة دينية:
يبحث الناس فى كل موضع عن حل. تتقيح عقولهم (من البحث). وفى كَمّ من شىء يتخبطون فيتأذّون. ولك أن ترى فى وجوههم كدماتهم وأوجاعهم. إنهم متعبون. ومتعجلون. يتسوقون ومن السوق يذهبون إلى المغاسل ويحلقون شعورهم ويعملون من أجل لقمتهم أو يحصلون على الإعانات. الفقراء منهم مرغَمون على ذلك والأثرياء لا همّ لهم إلا البحث عن أفضل أوجه الإنفاق. وذلك بدوره عمل. عليهم أن يقيموا أفضل البيوت بصنابير ذهبية تصب لهم الماء الساخن والبارد. وهناك سياراتهم الأودى وفَرَاشىّ أسنانهم السحرية وكل ما يتسنى لهم من الأجهزة المعقدة، وتأتى من بعد ذلك أجهزة الإنذار تقيهم الذبح، والفقير والغنىّ لا يعرفان طمأنينة الروح. كنت سأكتب «القريب» بدلا من «الفقير»، فَلِمَ هذا؟ ولا أحد قريبا منى هنا. ليس إلا ناسا تجاوزَوا الكثير من أسباب حيرتهم. هم يعرفون ما يملكونه وما سيبقون دائما يملكونه وما هم حتى بمرغمين على شراء طعامهم أو طهوه. أو اختياره. الاختيارات زالت.
كل ما بوسعنا الحصول عليه هنا هو ما تحصل عليه أذهاننا.
فى البداية لم يكن فى رأسى إلى التاشوش (هجاء خاطئ؟). عاصفة دائمة، فكنت أخبط رأسى فى الأسمنت عسانى أتخلص منها. وأوقف كربى وحياتى. وإذن فقد تحقق العقاب. حممونى بالخرطوم وقيّدونى وحقنونى بالعقاقير فى دمى. ولست أشكو، لأننى علمت أنْ لا نفع من الشكوى. ولا أن هذا المكان مختلف فى شىء عن العالم الواقعى، حيث الناس يشربون ويشربون ويقترفون الجرائم عساهم يزيلون من رؤوسهم أفكارهم الموجعة. وقد يُحتجزون أو يُحبسون ولكن لوقت لا يكفى للانتقال إلى الجانب الآخر. وما الجانب الآخر؟ هو إما الجنون المطبق، وإما السلام المطلق.
السلام. بلغت السلام ولم أزل عاقلا. أتخيلك وأنت تقرئين هذا فتفكرين أننى موشك على قول شىء عن الرب يسوع أو بوذا على الأقل كما لو كنت اعتنقت دينا. ولكن لا. أنا لا أغمض فترفعنى أى قوة عُليا. ولا أنا أعرف ما الذى يمكن أن يعنيه مثل هذا أصلا. ما أعرفه هو أنى أعرف نفسى. «اعرف نفسك» هذه تبدو وصية واردة فى مكان ما، لعلها مذكورة فى الإنجيل، وبهذا المعنى أكون اتبعت المسيحية. وأيضا، اصدق مع نفسك، ذلك أيضا شىء حاولته لو أنه مذكور فى الإنجيل هو الآخر. ولو أنها لا تحدد أى الجزئين الشرير أم الطيب هو الذى ينبغى للمرء أن يصدق معه فيهديه صدقه إلى الأخلاق. واعرف نفسك لا علاقة لها بالأخلاق المرتبطة بالسلوك. ولكن السلوك ليس شاغلا لى أيضا وقد صدر بحقى حكم صائب ينص على أننى شخص لا يوثق فى تقديره للطريقة التى ينبغى أن يكون عليها سلوكه وهذا سبب وجودى هنا.
نرجع لجزئية «اعرف نفسك». يمكننى أن أقول بهدوء ما بعده هدوء إننى أعرف نفسى وأعرف أسوأ ما أنا قادر عليه وأعرف أنى فعلته. لقد حَكَم علىّ العالم بأنى وحش ولا اعتراض لِى على ذلك وإن كان يمكننى أن أقول بإيجاز إن مَن يمطرون القنابل أو يحرقون المدن أو يجوّعون المئات بل الآلاف ويقتلونهم لا يُعدّون بصفة عامة وحوشا بل تهطل عليهم الأوسمة والنياشين، وليس يُعدّ صاعقا وشريرا غير من يرتكب الأفعال بحق أعداد صغيرة. وهذا ليس مبررا بل ملحوظة.
ما أعرفه فى نفسى هو شرّى الخاص. هذا هو سر ارتياحى. أقصد أنى أعرف أسوأ ما بى. قد يكون أسوأ من الأسوأ عند غيرى ولكننى فى حقيقة الأمر لست مشغولا بهذا أو قَلِقًا بسببه. ولا أبرر. أنا فى سلام. هل أنا وحش؟ هذا هو رأى العالم وما دام قيل فأنا موافق. ولكننى أرجع فأقول إن العالم ليس لديه أى معنى حقيقى لى. أنا نفسى وليس ثمة فرصة لأن أكون أى نفس أخرى. يمكن أن أقول إننى كنت مجنونا يومها ولكن ما معنى هذا؟ الجنون. العقل. أنا هو أنا. لا يمكن أن أغيّر أناى وقتها ولا يمكن أن أغيّرها الآن.
«دُورى»، لو أنك تقرئين إلى الآن فهناك شىء خاص أريد أن أقوله لكَ لكننى لا أستطيع أن أكتبه. ولو فكرت فى الرجوع إلى هنا فقد أقوله لك. لا تتصورى أننى عديم القلب. لا أقول إننى ما كنت لأغيّر الأمور لو تسنى لى ولكننى لا أستطيع. إننى أبعث هذا إلى مكان عملك الذى أتذكره هو واسم البلدة، فعقلى إذن من بعض النواحى بخير.
فكرت أنهما سوف تتناقشان فى هذه القطعة فى لقائهما التالى، ولذلك قرأتها عدة مرات، ولكن عقلها لم يصل إلى أى شىء يمكن أن تقوله. كل ما كان بوسعها أن تفكر فيه حقا هو ما قال إنه من المستحيل أن يباح به كتابةً. ولكنه حينما التقت به بعدها تصرف كأنه لم يكتب إليها على الإطلاق. فتّشت عن موضوع فحكت له عن مغنية شعبية كانت شهيرة ذات يوم أقامت فى الفندق أسبوعا. ولدهشتها تبين أنه يعرف عن المغنية أكثر مما كانت تعرفه هى. تبين أن عنده جهاز تليفزيون، أو يمكنه على الأقل أن يشاهد واحدا، وبالتالى يشاهد بعض البرامج، وبالطبع يتابع الأخبار بانتظام. أتاح لهما ذلك ما يتكلمان فيه قليلا، إلى أن عجزت عن تمالك نفسها.
«ما ذلك الشىء الذى قلت إنك لا يمكن أن تخبرنى به إلا شخصيا؟».
قال إنه كان يتمنى لو لم تسأله. فهو لا يعرف إن كانا جاهزين لمناقشته.
ثم إنها خشيت أن يكون شيئا لا يمكنها فعلا التعامل معه، شيئا لا يمكن احتماله، كأن يقول مثلا إنه لا يزال يحبها. كانت «الحب» مفردة لا تستطيع أن تسمعها.
قالت «أوكيه. ربما لا نكون جاهزين بالفعل».
ثم قالت «ولكِن يُستحسن أن تقول لى. فلو خرجتُ من هنا وصدمَتنى سيارة لن أعرف إلى الأبد، ولن تسنح لك الفرصة أبدا لأن تخبرنى».
قال «صحيح».
«فما الأمر؟»
«المرة التالية، المرة التالية. أحيانا أعجز عن الكلام. أكون راغبا، ولكن الكلام يجف».

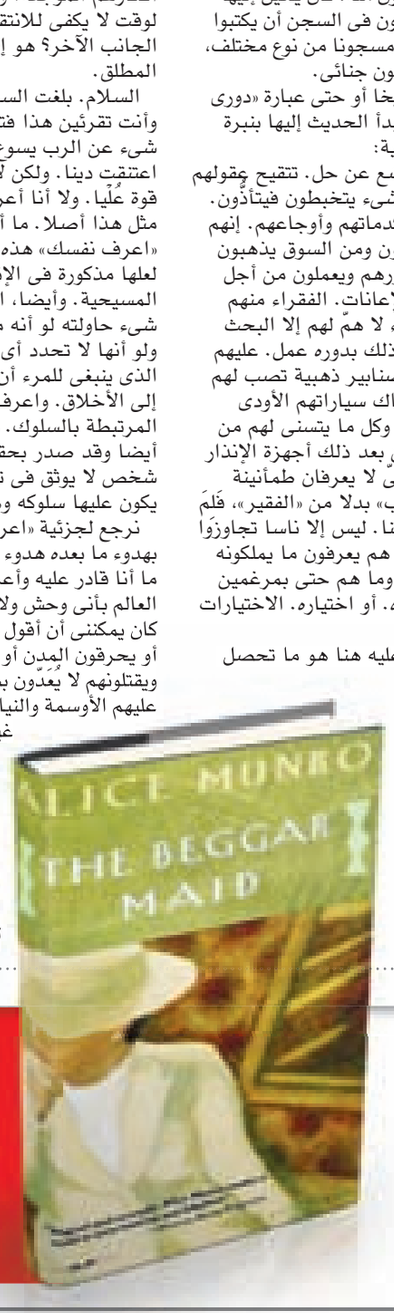

قال إنه لا يريد أن يحشر نفسه فى حياتها. قالت: «ولكنك لا تفعل». «هذا ما كنتِ ستقولينه؟ كنت أظن أنك ستقولين شيئا آخر». الحقيقة أنها أوشكت أن تقول، أى حياة؟

أقدِّر مجيئك إلى هنا.. معناه عندى كبير.. لكن لا تتصورى أنك مضطرة إلى ذلك. قصدى.. كلما رغبتِ فى ذلك. تعالَى فقط حينما ترغبين. الذى أريد أن أقوله هو أن مجرد مجيئك من الأساس هو بالنسبة إلىَّ مكافأة فى حد ذاته.. فاهمة قصدى؟

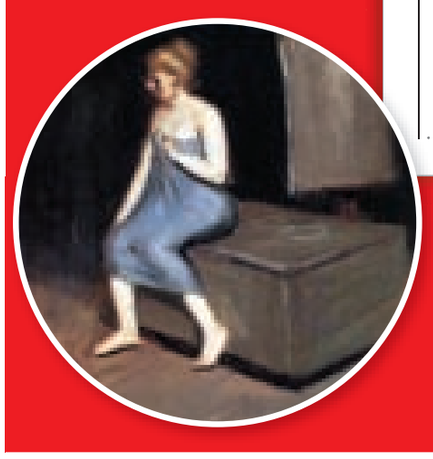

عليهم أن يقيموا أفضل البيوت بصنابير ذهبية تصب لهم الماء الساخن والبارد. وهناك سياراتهم الأودى وفَرَاشىّ أسنانهم السحرية وكل ما يتسنى لهم من الأجهزة المعقدة

اللوحات للفنان العالمى إدوارد هوبر

أثنى النقاد على قصص مونرو لما فيها من حكَىْ.. والتزام بالواقعية النفسية.. أحداث قصصها تجرى فى الغالب فى بلدات ومدن صغيرة.. وغالبا ما تبدؤها فى مكان غير متوقَّع ثم تنطلق منها فى كل اتجاهات الزمن بحرية تامة

لأول مرة فى الصحافة المصرية

ننشر ترجمة كاملة لقصة الأديبة آليس مونرو الحاصلة على جائزة نوبل 2013

البُعْد

الحلقة الأخيرة

ترجمة
أحمد شافعى

كنت أفكر فيك يا «دُورى» منذ أن ذهبت وأنا نادم أن أحبطتك. عندما تكونين جالسة أمامى أكون عازما على أن أكون أكثر عاطفية مما قد أبيّن. لا يحق لى أن أكون عاطفيا معك، لأن حقك أنت فى هذا أكبر ولكنك تتمالكين نفسك دائما. ولذلك سوف أعكس ما سبق وقلته لك لأننى توصلت إلى أننى أقدر على الكتابة إليك فى نهاية المطاف من الحديث معك.

والآن من أين أبدأ؟

هناك جنة.

هذه طريقة لكنها ليست الطريقة الصحيحة لأننى لم أومن قط بالجنة والجحيم وهذه الأمور. فكل ذلك فى حدود رأيى ليس إلا روثًا. فلا بد أن يكون أمرا غريبا منى أن أثير الموضوع الآن.

يمكن إذن أن أقول: رأيت الأولاد.

رأيتهم وتكلمت معهم.

عندك! فيمَ تفكرين فى هذه اللحظة؟ تقولين لنفسك، خلاص، لقد جنّ جنونه. أو، رأى حلما، لكنه غير قادر على تمييز أنه حلم، لا يعرف الفرق بين الحلم والصحو. لكن أريد أن أقول لك إننى أعرف تماما الفرق وما أعرفه هو أنهم موجودون. أقول إنهم موجودون. لا أقول أحياء، لأن الحياة لا وجود لها إلا فى البعد المعين الذى نعيش فيه. وأنا لا أقول إنهم ها هنا موجودون. بل إننى أعرف، كحقيقة، أنهم ليسوا كذلك. ولكنهم موجودون فعلا ولا بد أن يكون هناك بعد آخر أو ربما ما لا عدد له من الأبعاد، ولكننى أعرف أننى على اتصال بالبعد الذى هم فيه أيا ما يكون. محتمل أننى اكتسبت هذا من فرط بقائى وحدى واضطرارى إلى التفكير والتفكير. وبعد كل هذه المعاناة والعزلة رأى رحمن ما هذه الوسيلة لمواساتى والتخفيف عنى فجازانى بها. أنا أجدر الناس بها، وأقلهم جدارة بها وفقا لتفكير العالم.

ولو أنك لا تزالين تقرئين ولم تمزقى هذا الورق إربا فلا بد أنك تريدين أن تعرفى شيئا. مثلا كيف حالهم. هم بخير. سعداء وأذكياء. ولا يبدو أن فى ذاكرتهم أى شىء سيئ. لعلهم أكبر قليلا مما كانوا عليه ولكن صعب القطع بهذا. يبدو أنهم يفهمون على مستويات مختلفة. نعم. يمكنك أن تلاحظى فى ديمترى أنه تعلم الكلام وهو لم يكن يتكلم بعد. هم فى غرفة لا أستطيع إبصارها إلا جزئيا، شبيهة ببيتنا لكنها أوسع وألطف. سألتهم عن كيفية الاعتناء بهم فضحكوا وقالوا لى ما معناه إنهم قادرون على الاعتناء بأنفسهم. أظن ساشا هو الذى قال ذلك. أحيانا لا يتكلمون منفصلين أو أننى على الأقل لا أستطيع الفصل بين أصواتهم لكن هوياتهم واضحة تماما وينبغى لى أن أقول إنهم فرحون.

أرجوك لا تقولى إننى مجنون. هذا ما جعلنى أخاف أن أحكىَ لك عن الأمر. لقد كنت مجنونا فى وقت ما ولكننى تخلصت من جنونى القديم مثلما يتخلص الدب من فرائه. أو ربما يجدر بى القول مثلما يتخلص الثعبان من جلده. أعرف أننى لو لم أفعل ذلك لما حظيت قط بالقدرة على الاتصال من جديد بساشا وباربرا آن وديمترى. والآن أرجو أن تحظى أنت أيضا بهذه الفرصة، لأنها إن تكن مسألة جدارة فأنت تتقدمين عنى. قد يكون الأمر أصعب عليك نظرا لحياتك فى العالم أكثر منى ولكن بوسعى أن أقدم لك على الأقل هذه المعلومة أى الحقيقة، وإننى إذ أقول لك إننى رأيتهم لأرجو أن يخفف هذا عن قلبك المثقل.

لم تدرِ «دُورى» ما الذى يمكن أن تقوله السيدة صاندسَ أو يذهب إليه تفكيرها لو قرأت تلك الرسالة. طبعا سوف تكون حذرة. ستكون حذرة ولن تصدر أى حكمٍ مباشر بالجنون ولكنها بحذر وطيبة سوف توجّه «دُورى» إلى هذا الاتجاه. أو ربما يمكنك القول إنها لن توجه بقدر ما ستزيل الارتباك بحيث تصبح «دورى» فى مواجهة ما سوف يبدو كأنه النتيجة التى توصلت إليها بمحض تفكيرها. سيكون عليها أن تطرح كل الهراء الخطير على حد تعبير السيدة صاندس الأكيد من عقلها.

ولذلك السبب لن تقترب «دُورى» منها بالمرة.

كانت «دُورى» ترى فعلا أنه مجنون. وبدا لها فى ما كتبه أثر ما من تفاخره القديم. لم ترد عليه. ومضت أيام. وأسابيع. لم تغير رأيها فى ما كتبه، لكنها ظلت متشبثة به كأنه سر. وبين الوقت والآخر، كان يحدث وهى فى غمرة رش مرآة أو فرد ملاءة أن ينتابها إحساس. كانت على مدار سنتين لم تلحظ أى شىء من تلك التى تجعل الناس سعداء، كتحسن الجو أو تفتح الزهر أو رائحة الخبيز. وبقيت لا تشعر بأى إحساس عفوى بالسعادة، لكن بات لديها ما يذكّرها بطبيعتها. لم تكن للسعادة علاقة بالجو أو الزهور. إنما فكرة وجود الأولاد فى ما يسميه بعدهم هى التى كانت تتسلل إليها بتلك الطريقة وتسرب إليها لأول مرة إحساسا خفيفا بغير الألم.

طوال الفترة التى مضت منذ أن حصل ما حصل، كانت أى فكرة لها علاقة بالأولاد شيئا عليها أن تتخلص منه، تنتزعه على الفور انتزاع سكين من الحلق. لم تكن تستطيع أن تفكر فى أسمائهم، وإن سمعت اسما فيه شبه من أسمائهم تبدده من رأسها على الفور. حتى أصوات الأولاد، وصراخهم وطرقعة أقدامهم حينما يجرون عند مسبح الفندق، كان لا بد من إيقافها وراء بوابة ما كانت تستطيع أن توصدها من وراء أذنيها. والذىَ اختلف الآن هو أنه أصبح لديها ملاذ يمكنها أن تأوى إليه كلما اقترب منها أى من تلك الأخطار.

ومن منحها ذلك؟ ليست السيدة صاندس، ذلك كان أمرا مؤكدا. برغم كل تلك الساعات من الجلوس أمام مكتبها على مقربة من علبة الكلينكس.

لويد هو الذى منحها ذلك. لويد، ذلك الشخص الفظيع، ذلك الشخص المحبوس المجنون.

مجنون لو أردتم أن تطلقوا عليه هذا. لكن أليس محتملا أن يكون ما قاله صحيحا، إنه انتهى إلى الجانب الآخر، ومن الذى يقول إن رؤى شخص فعل ما فعله وقطع مثل تلك الرحلة لا تعنى أى شىء؟

حفرت تلك الفكرة طريقا إلى رأسها واستقرت هناك، مثل دودة.

بجانب فكرة أخرى، مفادها أن لويد، من بين كل الناس فى العالم، هو من ينبغى لها الآن أن تكون معه. فما الغاية من وجودها فى العالم هكذا كان يبدو أنها تقول لشخص لعله السيدة صاندس ما غاية وجودها هنا إن لم يكن لتصغى إليه على الأقل؟

لم أقل «لأغفر». هكذا قالت فى رأسها للسيدة صاندس. وما أنا لأقولها أبدا. وما أنا لأفعل ذلك أبدا.

لكن فكرى فقط. ألست مجروحة مما جرى مثله تماما؟ لا يوجد أحد ممن عرف بما جرى يريدنى على مقربة منه. فكل ما أتسبب فيه هو أننى أذكّر الناس بما لا يحتمل أحد أن يذكّره به أحد.

والتنكر لم يكن ممكنا، لا لم يكن. تاج الشوك الأصفر هذا مثير فقط للشفقة.

هكذا وجدت نفسها مرة أخرى على متن الحافلة المتجهة إلى الطريق السريع. تذكرت تلك الليالى التالية مباشرة لموت أمها، عندما كانت تخرج لمقابلة لويد، فتكذب على صديقة أمها، المرأة التى أخذتها إلى بيتها، وتقول لها إنها ذاهبة إلى أى مكان. تتذكر اسم الصديقة، اسم صديقة أمها، لورى.

من غير لويد يمكنه الآن أن يتذكر أسماء الأولاد، أو ألوان عيونهم؟ السيدة صاندس حينما تضطر أن تشير إليهم لا تقول حتى الأولاد، وإنما «أسرتك»، واضعة إياهم جميعا فى جمع واحد.

فى تلك الأيام، حينما كانت تذهب لمقابلة لويد، وتكذب على لورى، لم تكن تشعر بالذنب، بل بالمصير، بالخضوع. كانت تشعر أنها لم توجد على سطح الأرض إلا لكى تكون معه تحاول أن تفهمه.

حسن، لم يكن الوضع الآن مثل ذلك. لم يكن هو نفسه.

كانت تجلس فى المقعد الأول فى الناحية المقابلة لناحية السائق. وكانت ترى الطريق ممتدا أمامها بوضوح. ولذلك كانت هى الراكبة الوحيدة والشخص الوحيد إضافة إلى السائق التى رأت شاحنة تتوقف على جانب الطريق دون أن تبطئ من قبل، فتنقلب عن الطريق الخاوى فى صباح الأحد إلى المصرف الموازى. وأن ترى ما هو أغرب: سائق الشاحنة يطير منها إلى الهواء بطريقة بدت سريعة وبطيئة معا، عبثية وجميلة، إلى أن حطّ على الحصى عند حافة الرصيف، فى الجهة المقابلة من الطريق.

أما بقية الركاب فلم يعرفوا لماذا ضغط السائق المكبح فجأة فأوقف السيارة بطريقة أزعجتهم جميعا. وللوهلة الأولى كان ما فكرت فيه «دُورى» هو: كيف أمكنه الخروج؟ ذلك الشاب أو حتى الولد الذى لا بد أنه كان نائما على عجلة القيادة؟ وكيف طار من الشاحنة وعبر الهواء بتلك الرشاقة؟

«شخص أمامنا مباشرة»، قالها السائق للركاب محاولا الكلام بصوت مرتفع وهادئ، ولكن كانت فى صوته نبرة اندهاش، وذهول. «انحرف عن الطريق حالا ووقع فى المصرف. سنتحرك بأسرع ما نستطيع، وحتى ذلك الحين، أرجو عدم النزول من الحافلة».

كأنها لم تسمعه، أو كأنما كان لها حق خاص فى النزول، مصدره أنها قادرة أن تفيد بشىء، نزلت «دُورى» وراءه، ولم يلمها.

«كلب ابن كلب» قالها وهما يعبُران الطريق ولم يبقَ فى صوته غير الغضب والسخط. «عيل كلب ابن كلب، تصدقين هذا؟».

كان الولد مستلقيًا على ظهره، وذراعاه وساقاه مفرودة على اتساعها كما لو كان نائما يلعب على الجليد. غير أن ما كان حوله هو الحصى لا الجليد. لم تكن عيناه مغمضتين تماما. وكان صغيرا للغاية، مجرد ولد طال جسمه قبل حتى أن تنبت له لحية. وربما لا يحمل رخصة قيادة.

كان السائق يتكلم فى الهاتف.

«نحو ميل إلى الجنوب من بايفيلد، عند ٢١، الجانب الشرقى من الطريق».

ظهر من أسفل رأس الولد، قرب الأذن، تيار زبد وردى. لم يكن شكله كالدم على الإطلاق، وإنما يشبه الرغوة التى تكشطها عن الفراولة عند إعداد المربى.

جلست «دُورى» بجانبه. وضعت يدا على صدره. كان لا يزال. قرّبت أذنها. قميصه مكوى قريبا، لا تزال فيه رائحة الكى.

لا نفس.

ولكن أصابعها عثرت فى رقبته الطرية على نبض.

تذكرت شيئا كان قد قيل لها.

لويد هو الذى كان قاله لها لتفعله إذا تعرض أحد الأولاد لحادثة ولم يكن هو موجودا. اللسان. اللسان قد يمنع النفس، إذا سقط فى مؤخرة الحلق. وضعت أصابع إحدى يديها على جبهة الصبى وإصبعين من يدها الأخرى على ذقنه. ضغطت على الجبهة، وعلى الذقن، لتفتح طريقا للهواء. فتحة ضئيلة للغاية.

وإذا لم يتنفس، يكون عليها اللجوء إلى التنفس الصناعى.

تفتح منخاريها، تأخذ نفسا عميقا، تضغط شفتيها على شفتيه. نفسان وتفحص. نفسان وتفحص.

صوت رجل آخر، غير السائق. لا بد أن راكب دراجة نارية توقف. «ألا تحتاجين هذه البطانية تحت رأسه؟». تهز رأسها بـ«لا». كانت قد تذكرت شيئا آخر، عدم تحريك المصاب، لكى لا يصاب النخاع الشوكى. أحاطت بفمه. ضغطت بشرته الشابة الدافئة. نفخت فى فمه وانتظرت. وعادت فنفخت وانتظرت. وبدا أن رطوبة خافتة تتصاعد على وجهها.

قال السائق شيئا لكنها لم تستطع أن ترفع رأسها. ثم شعرت به يقينا. نفس من فم الصبى. فردت يدها على صدره وللوهلة الأولى لم تدر إن كانت ترتفع وتنخفض أم لا، لأن يدها هى كانت ترتعشَ.

نعم. نعمٍ.

كان نفَسًا حقيقيا. الممر الهوائى مفتوح. كان يتنفس بمفرده. كان يتنفس.

قالت لصاحب البطانية «غطّه بها ليبقى دافئا».

مالَ عليها السائق قائلا «أهو حىّ؟».

أومأت. عثرت أصابعها مرة أخرى على النبض. لم يستمر التيار الوردى البشع فى التدفق. لعله لم يكن شيئا ذا بال. ليس من مخه.

قال السائق «لا أستطيع أن أوقف الحافلة من أجلك، عندنا موعد لا بد أن نلتزم به».

قال صاحب الدراجة النهائية «لا بأس. أنا موجود».

أرادت أن تقول لهما اهدَءا، اهدَءا. كان يبدو لها أن الصمت مطلوب، وإن كل ما فى العالم خارج جسم هذا الصبى لا بد أن يركز، فيساعد هذا الجسم على عدم نسيان واجب التنفس.

زفرات خجلَى لكنها منتظمة، وطاعة جميلة من الصدر. استمر، استمر.

قال السائق «سمعت؟ هذا الرجل يقول إنه سوف يبقى هنا معه. والإسعاف قادم حالا».

قالت «دُورى» «اذهب أنت. سأركب معهم إلى المدينة وألحق بك فى طريق رجوعك الليلة».

كان عليه أن ينحنى حتى يسمعها. كانت تتكلم وهى شاردة، ودون أن ترفع رأسها، كأنما هى ذات الأنفاس العزيزة.

قال «متأكدة؟».

متأكدة.

«لست بحاجة إلى الذهاب إلى لندن؟».

لا.

نشرت القصة للمرة الأولى فى مجلة «ذى نيويوركر» الأمريكية بتاريخ ٥ يونيو ٢٠٠٦

ما أعرفه هو أنهم موجودون، أقول إنهم موجودون لا أقول أحياء لأن الحياة لا وجود لها إلا فى البعد المعين الذى نعيش فيه

كان عليه أن ينحنى حتى يسمعها، كانت تتكلم وهى شاردة ودون أن ترفع رأسها كأنما هى ذات الأنفاس العزيزة

كان الولد مستلقيًا على ظهره، وذراعاه وساقاه مفرودة على اتساعها كما لو كان نائما يلعب على الجليد

اللوحات للفنان العالمى إدوارد هوبر

بعض النقاد يرون أنها أحدثت ثورة فى المعمار القصصى. وتعتمد فى الغالب على الراوى العليم، ويرى بعض النقاد أن بطلاتها أكثر تعقيدا من أبطالها النادرين بصفة عامة فى قصصها.